

## الاخلاقيات والاخلاقيات الطبية

### في الحضارات القديمة والحضارة العربية الاسلامية

د. رضي جواد باقر محمد البياتي

رئيس أطباء أخصائيين انف اذن وحنجرة/ بغداد

\*الايمل: [rajab\\_552002@yahoo.com](mailto:rajab_552002@yahoo.com)

تاريخ نشر : 31/3/2026

تاريخ القبول: 11/10/2025

تاريخ استلام : 9/8/2025

### الملخص :-

تم في هذا البحث دراسة الاخلاقيات الطبية مسبوقة بدراسة الاخلاقيات وذلك لكونها الاساس الفكري الفلسفي الذي تنبع منه اساسيات الاخلاقيات الطبية. تم اجراء عرض لشذرات مهمة من تاريخ الاخلاقيات وفلسفاتها ضمن عصور الحضارات الإنسانية والتأكيد على الاهمية الكبرى للإسلام والعقائد الفكرية الاسلامية في ترسيخ مفاهيم اصيلة عالية ورفيعة في انسانيتها ، ثم انتقل البحث الى الاخلاقيات الطبية في استعراض تاريخي على مدى العصور الحضارية وكذلك تم التركيز على اساسياتها فكرياً وعملياً في عصر الحضارة الاسلامية العربية ، وطبعا التأكيد على ما أرسته العقيدة الاسلامية من اساسيات راقية في الاخلاقيات الطبية وكذلك تم البحث في اخلاقيات الطبيب في عمله وبكل الجوانب لم يغفل البحث عن التنويه بفشل الفلسفات الاخلاقية الحديثة في ارساء قواعد رصينة للأخلاقيات الطبية.

الكلمات المفتاحية: الاخلاقيات، الحضارة، الطب



## Ethics and Medical Ethics in Ancient Civilizations and Arab-Islamic Civilization

**Dr. Radhi Jawad Baqir Muhammad al-Bayati**

Chief Otorhinolaryngologist

\*Corresponding author: rajab\_552002@yahoo.com

Received date: 9/8/2025

Accepted date: 11/10/2025

Published date: 31/3/2026

### Abstract

This research is directed to study the medical ethics but it was to start with summarised history of Ethics its philosophies and principles on a basic phenomenon that general ethics is the base of medical ethics. It was followed through all human civilisations and to concentrate on Islamic principles during the Islamic Arabic civilisation. After that the medical ethics was also followed historically and with concentration on the Islam religion principles important role in all aspects of medical practice and health system both as principles and practice.

**Keywords:** ethics, civilization, medici



**المقدمة**

موضوع الأخلاقيات عموماً والأخلاقيات الطبية بالخصوص كان موضع اهتمام كبير من قبل الفلاسفة والمفكرين والأطباء على مدى الحضارات الإنسانية وكانت للعقائد الدينية وبالخصوص السماوية وبالذقة والتحديد الدين الإسلامي الحنيف الأثر الأكبر في إرساء الأسس الفكرية والتعامل الإنساني للممارسة الطبية.

وللأعراف العامة للشعوب دورها أيضاً بهذا الموضوع كما أنّ للقوانين التي تسنها الانظمة في مجمل الحضارات الإنسانية أيضاً لها دور في دعم الاسس الاخلاقية.

في هذا البحث تمّ إلقاء الضوء على الأخلاقيات وفلسفتها تاريخياً وفي العقائد الدينية وهذا مما لا بد منه في أي دراسة للأخلاقيات الطبية ولا يمكن فصلها عن فلسفة الاخلاقيات عموماً فهي متصلة معها فكراً وممارسة.

وقد تم التعريف بالطب والعمل الطبي وأهمية الاخلاقيات في ممارسة الطب وفي العلوم الطبية واستعراض عام للأخلاقيات الطبية في الحضارات الاسلامية والاديان.

**اولاً: تعريف الطب والاخلاق:****تعريف الطب:**

علم ومهنة ذو ابعاد ثقافية وعلمية واخلاقية وفلسفة عميقة، فهو يعني بمعرفة حقيقة الانسان بروحه (مشاعره وغرائزه ونواياه) وجسمه بصحته ومرضه وما يحدث فيه من تغيرات ظاهرة وباطنة، وما هو الطبيعي والغير طبيعي في هذه التغيرات، وكان الاطباء قديماً هم الفلاسفة والحكماء. ولقد عرف ابن سينا الطب: هو علمٌ يعرف منه احوال بدن الانسان من جهة ما يصح ويحول عن الصحة ليحفظ الصحة حاصلة ويستردها زائلة(1)

ومن أقدم العصور الى اليوم يعتبر الطب مهنة سامية وعمل شريف لما له من مساس بحياة الناس وأرواحهم وشرفهم.

(1) مازن صباح مصباح ، أ. نائل محمد يحيى ، دراسة فقيه مقارنة / جامعة الازهر / مجلة الجامعة الاسلامية للدراسات العدد/2 ص110، 143 يوليو 2011



وممارسة الطب لا تتم الا ان تصان بالأخلاق، فان الله الخالق كرم الإنسان بالعقل وخير ما يستخدم به العقل هو الايمان بالله والعلم، ولا ايمان وعمل صالح دون حسن الخلق كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو الذي أرسل بشيراً ونذيراً وهداياً للإيمان بالله: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الخلق) فكانت الاخلاق هي صفة عقيدة وشريعة الإسلام.

واما العقل والذي يحكم الفكر والممارسة الإنسانية فأن اكرامه يكون بالتمسك بالأخلاق.

### **الاخلاق وتعريفها: (2)**

الاخلاق لغة: في لسان العرب لابن منظور: السجية/ الطبع.

وجاءت في القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم/ آية (4)]

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة الشعراء/ آية (137)]

ولرسول الله أحاديث في الاخلاق: { إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ }

- { لا عقل كالتدبير، ولا وَرَع كالكف، ولا حَسَب كحُسْن الخلق }
- { إن من أحبكم إلى وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة، قالوا نعم يا رسول الله أحاسنكم أخلاقاً }
- { أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً }
- { ما اعطي احدٌ أفضل من حسن الخلق }
- { خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق }.

**الاخلاق اصطلاحاً:** (3) مادام بحثنا يخص الاخلاق الطبية في عصر الحضارة العربية الاسلامية ،

فليكن تعريف الاخلاق مما عرّفه فلاسفة هذا العصر:

الامام ابو حامد حمد الغزالي(4): عرف الاخلاق ، الخلق: عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها

تصدر الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة لفكر ورؤيه ، فأن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الافعال

الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً ، وإن كان الصادر عنها الافعال القبيحة

سميت خلقاً سيئاً.

(2) د. محمد علي البار/ الاخلاق اصولها الدينية وجذورها الفلسفية/ جامعة الملك عبد العزيز/ جده

(3) د. باري زكي/ الاخلاق عند الغزالي/ مطبعة دار الكتاب العربي/ ص414

(4) محمد الغزالي/ خلق المسلم/ ط7



أما الفيلسوف محي الدين بن العربي<sup>(5)</sup>، فعرف الأخلاق: حالة للنفس بها يفعل الإنسان أفعاله بلا رويه ولا اختبار، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعاً ، وفي بعضهم لا يكون الا بالرياضة والاجتهاد ومجاهدة النفس وتقويتها.

القرآن الكريم والأخلاق...<sup>(6)</sup> قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): ليس في القرآن آية تجمع مكارم الأخلاق كما في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة الاعراف/ آية 199]

فالعفو: هو السهل اليسير أي لا ترهق الآخرين بما لا يطيقونه في أفعالهم وأخلاقهم.

والعرف: الخير الواضح المعروف والذي يدركه الإنسان بفطرته.

اعرض عن الجاهلية: أي اعرض عن لا يجدي معه النصيح.

وقد يتبادر للأذهان ما علاقة السلوك بالأخلاق وهل هما متلازمان؟

فان تعريف السلوك الإنساني<sup>(7)</sup>: وهو اعمال الانسان الظاهرة وأن كانت مغايره لما تنطوي عليه سريره.

أي الاعمال الارادية للإنسان الموجهة نحو غاية معينة مقصودة.

وهو هنا عمل الانسان وليس ما يقوله ويختلف سلوك الانسان حسب ظروفه أو حاله من علم وجهل، صحة ومرض، فقر وغنى، وعليه فالأعمال التي تسمى سلوكاً يجب ان تتركز على قاعدة من الفضائل العامة للأخلاق، ومع نظرة شمولية انسانيه لكل الآخرين.

وهنا نجد الترابط بين الأخلاق وعمل الطبيب في تعامله مع المريض وفيما يوصي به من رأي وهو نصيحته التي تركز عن عقله وحكمته، وهي مما تعلمه من اساتذته ومن قراءته وما كسبه من خبرة وعلى موهبته وابداعه وكل هذا يسان بالأخلاق الحميدة، فالأخلاق هي ركن اساسي في فلسفة الطب وفي تطبيقه.

<sup>(5)</sup> منصور علي رجب/ تأملات في فلسفة الأخلاق / ط 3- 1961/ ص 91

<sup>(6)</sup> محمد جواد مغنية/ تفسير الكاشف/ ج 3/ ص 236

<sup>(7)</sup> تأملات في فلسفة الأخلاق/ مصدر سبق ذكره



### ثانياً: شذرات موجزة من تاريخ فلسفة الاخلاق في الحضارات الانسانية:

من المؤكد ان الاخلاق في مفاهيمها ومبادئها وتطبيقاتها بدأت مع بداية الاديان السماوية وهي التي كان لها الأثر الأكبر في التراث الانساني للأخلاق وبمختلف الشرائع والعقائد.

وعلى سبيل المثال:

شريعة حمورابي (قانون القصاص): وهو قانون مدني يحدد الاخطاء وما توجب من عقوبات فقد وردت فيه فقرات كانت مقتبسه من التوراة نصاً، مثل فقرة "العين بالعين والسن بالسن"

وبدون أدنى شك فإن الاسلام كان المنهج الكامل لمبادئ الاخلاقية.

وعلى العموم فإن أساسيات الاخلاق في عموم المجتمعات الإنسانية وعلى مدى الحضارات الإنسانية تبنى على:

1. الاديان: وما تفره في شرائعها في تحديد الصوب والخطأ.
2. الاعراف: وهو ما تعارفت عليه المجتمعات البشرية في تعاملها.
3. القوانين: وهي مجمل ما ورد في دساتير وقوانين الدول المختلفة.

#### حضارات وادي الرافدين:

أكد الأغلب من المؤرخين لهذه الفترة أن ابناء الرافدين قد عرفوا الكثير عن الاخلاق العلمية والشرائع والقوانين والطبائع والعادات وكانت لهم عواطف حيوية نحو العدالة الاجتماعية والعدالة الفردية ولهم عاداتهم وطبائعهم في تنظيم شؤونهم والتفكير والتميز بين ما يعتبر خيراً وما يعتبر شراً في الواجبات والصفات.

حضارة الهند: في المذهب البراهمي (١٢٠٠ - ١٥٠٠ ق.م) وهو من أقدم الاديان في الهند نجد أن المبادئ الاخلاقية والتعاليم تبلغ حد الاعجاب بما يتصل باحترام الناس جميعاً وحب الكائنات الحية والعفو عن المسيء.

ولم يخرج المذهب البوذي الذي جاء تجديداً مكملاً للمذهب البراهمي عن هذه الاخلاقيات

حضارة الصين: سبق الصينيون الشعوب القديمة في استلهام فلسفة الاخلاق والبحث عنها نظرياً وعملياً.

ويعتبر كونفوشيوس هو مفكرها وحكيمها الأكبر (ولد 551 ق.م) ومما دعا اليه في تعاليمه تقديس الواجب وجعله مقياس لسلوك الانسان، ومما قاله كونفوشيوس: "أنك إذا قدت الناس وفق قوانين



اجباريه وهددتهم بالعقاب فقد يحالون اتقاء العقاب، ولكن لن يكون لديهم الشعور بالشرف الاخلاقي ولكنك إذا قدتهم بالفضيلة ونظمت شؤونهم بالتربية فأن علاقاتهم ستقوم على اساس من الشرف والاحترام"، وهذا يبدأ من الأسرة فالمجتمع فالدولة.

حضارة الفرس: وقد ورد عن زرادشت مفكرهم (القرن السابع ق.م) تقسيم العالم الى خير ويشتمل على الفضيلة والاخلاق وشر ويشتمل على الرذائل وهو بذلك يجعل الانسان يسعى لمساعدة الى الخير بسلوكه الحسن للانتصار على إله الشر.

حضارة الاغريق: (8) يعتبر فيثاغورس من الأوائل الذين تبنوا الاخلاق الحميدة والفضيلة مسلكاً لانتصار الروح على الجسد وهو انتصاراً للخير.

وهو عكس ما ظهر بعد ذلك من فلسفه سوفطائية دعى اصحابها للمراوغة والاحتتيال لتحقيق انتصار المنفعة الفردية على غيرها من القيم.

أن سقراط (٤٧٠ – 400 ق.م) (9) يمكن اعتباره أول من ثبت الفلسفة على اساس متين وشاد عليها الفلاسفة الأخلاقية فهو من قال: "أن المرء لا يكون فاضلاً الا إذا كانت الفضيلة على علم وعليه فان سقراط يعتبر مؤسس علم الاخلاق.

اما تلميذه افلاطون: (10) فقد دعا كأستاذه الى العفة والشجاعة وجعل الحكمة ام الفضائل.

ويرى افلاطون أن الفضيلة العليا هي فضيلة العدل.

وقد حمل الرسالة بعده ارسطو وهو المعلم الأول ويرى ارسطو ان السعادة الحقيقيه التي هي مبعث اللذه عند الانسان هي بالتوصل إلى خيرات النفس وذلك بالتأمل والتفكير، باسمى جزء فينا الا وهو العقل، والتأمل في الله يجعل الانسان قريب من الله.

واليه ترجع فكرة الفضيلة بين رذيلتين ومنه أخذ الغزالي، الفارابي وابن سينا هذه الفكرة.

الحضارة الرومانية: اهتم فلاسفة الرومان بتطبيق المبادئ وأهتموا بدراسة السلوك وقواعده والضمير وواجبات الفرد لنفسه وربيه والناس اجمع.

ومن فلسفتهم أن "الفضيلة الدائمة سلامة النفس وطمأنينتها ولا يوجد الأشر واحد هو فقدان الشرف والحرية النفسية".

(8) موسى محمد يوسف/ تاريخ الاخلاق/ دار الكتاب العربي/ ط3- 1953/ ص47

(9) تاريخ الاخلاق/ مصدر سبق ذكره/ ص79

(10) تاريخ الاخلاق/ مصدر سبق ذكره/ ص17، 58



### الاخلاقيات في الديانة المسيحية:

اعتمدت الديانة المسيحية على مخاطبة المشاعر والعواطف أكثر من مخاطبة العقل والتفكير، واعتمدت على ما انزله الوحي الالهي لمعرفة الخير والشر في تعريف الاخلاق بدلاً من تحكيم العقل. وقد تميزت مثل واخلاق الديانة المسيحية عما سبقها من نظم وحضارات وقد ظهر بعض علماء الدين المسيحي مثل توما الأكويني (١٢٢٥م - 1274م) في نابولي والذي حاول الربط بين الديانة المسيحية والفلسفة الاغريقية إذ أنه يرى " أن الاخلاق مزيج من الاخلاق الفلسفية (اخلاق ارسطو) والاخلاق المسيحية التي تنزل من عند الله"

### العرب قبل الاسلام:

إن الحضارات السامية التي سادت في وادي الرافدين وفي الشام واليمن كانت تحمل من الاخلاقيات مما قد استنبطوه من شرائعهم ونظم قوانينهم وهي نموذجاً جيداً في الاخلاقيات الاجتماعية والفردية ولقد تركت آثارها في عرب الجزيرة العربية.

ففي الجزيرة العربية قبل الاسلام ظهر حكماء وشعراء اشادوا وشجعوا على الالتزام بالقيم الاخلاقية الحميدة مثل:

- عامر بن الظرب العدوانى
- ذو الاصبح العدوانى
- زهير بن ابى سلمى
- أکثم بن صيفي: وهو من حكماء العرب ودهائها وفلاسفتها وهو الذي أعجب به كسرى فقال: "لو لم يكن للعرب غيرك لكفى"
- الحارث بن كلده الذي أقحم كسرى في مساجلة عن اخلاقيات العرب قائلاً: "للعرب أنفس سخية، وقلوب جريه ولغة فصيحة واحساب شريفه، أطعموا الطعام في الحرب، وضاربوا الهام في الحرب، لا يرام عزمهم ولا يضام جارهم ولا تستباح حریتهم ولا يذل كريمهم".
- وفي الحكم والامثال مما يقاس فيه الاخلاق ما ورد عن لقمان الحكيم "الصمت حكم وقليل فاعله".
- وفي الوفاء فان وفاء السمواً لدروع امرئ القيس مثلاً رائعاً، وفي الكرم من ذا الذي يباري حاتم الطائي في كرم خلقه.

وفي قصيدة عبد قيس بن خفاف يحث على التمسك بالأخلاق في أشد الظروف:



أمران فاعمد للأعف الأجل

وإذا تشاجر في فؤادك مرة

### فلسفة الاخلاق في عصر الحضارات العربية الإسلامية:

مما لا شك فيه أن مصدر فلسفة الاخلاق في عصر الاسلام وعصر الحضارة العربية الاسلامية كان كلام الله (سبحانه وتعالى) في كتابه الحكيم (القرآن الكريم)، وفيه يأمر الله تعالى خلقه ان يتخلقوا بمكارم الاخلاق ومحامد الخلال والنهي عن المنكر والرذائل والشر والبغي والكذب وفيه قد بين واجبات الانسان ومسؤوليته نحو شخصه وربه ووالديه وابناءه واقرباءه واصدقائه وابناء جلدته وكذلك ارضه ووطنه.

ومن اروع ما ذكر سبحانه تعالى على مفردة الاخلاق هو وصفه لرسوله الذي ارسله بشيراً ونذيراً وهادياً وصفه بوصف واحد كانسان

قوله تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) [سورة الفلم/اية (4)]

وهذا الوصف لم يحض به أي رسول أو نبي أو بشر قبله ولا بعده وفيه قد جمع الله تعالى كل المكارم الانسانية في الاخلاق.

أما المصدر الثاني فهو: سنة رسوله في أحاديثه وسيرته

ولا عجب أن يقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)<sup>(11)</sup>: {إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق

وهذا الحديث العظيم يبين أن الاسلام العقيدة الشاملة اساسها هو الاخلاق، وهذا شيء عظيم وعميق والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في كل ما كان يصدر عنه من نطق وعمل ووصية وارشاد وهو الذي لا يتكلم عن الهوى اساساً متمم ومكمل وموضح لتعاليم القرآن الكريم وفيه التطبيق العملي لتعاليم الاسلام الاخلاقية.

والامور التي يراها الله ورسوله في تربية النفس في الالتزام بالخلق الاسلامي هي:

1. العدل: كل الناس سواسية دون تفریق لمصلحة اوامر آخر الناس كلهم امام الله والدين يتساوون وما يرفعهم هو تقواهم، قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): {يَا أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ رَبَّكُمْ

<sup>(11)</sup> أحمد الهاشمي/ مختار الاحاديث النبوية؛ د. فينسك/ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، طبعة لاديك- 1943/ ج1- ص64



وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَأكُمْ}.

2. الصبر: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): {الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَدَاهُمْ؛ أَفْضَلُ مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَدَاهُمْ}.

3. الحلم: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لصحبه: {ما تعدون فيكم الصرعة؟ قلنا: الذي لا تصرعه الرجال، قال: قال لا ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب}.

4. الاحسان: الله يأمر ويحث على الاحسان:

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ} [سورة النحل/ من الآية 90]

قوله تعالى: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [سورة البقرة/ من الآية 195]

وفي الاسلام ربط الله تعالى عمل الخير (وفيه الاخلاق) بجزاء الآخرة وهو الاساس لكل ما يصدر من الانسان من قول وفعل وهذا يعني أن مكارم الاخلاق هي من صميم عمل وسلوك المسلم ولا تكفي العبارات وحدها، فالإسلام يرتقي بأخلاقية الانسان ويجعلها واجباً أساسياً مرتبطاً بنهاية الانسان وجزاءه في الآخرة أي أنها من صميم ايمان المسلم ولا تفرط فيها.

وإن كانت الصفات الاخلاقية تقسم الى خير وشر وجمال وقبح، فقد أكد الاسلام عليها ومثال على ذلك

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ} [سورة النحل/ اية (90)]

وهذه الآية تختصر كل ما يوجه الله به خلقه من العدل في حياته الخاصة والعامة وأن يكون حسن الاخلاق متم له.

وقد وردت عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أحاديث متعددة تحت على الالتزام بالخلق الحسن: {خياركم احسنكم اخلاقاً} و {كرم المؤمن دينه ومروته عقله وحسبه خلقه}

وفي سيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اسوة حسنة وهي مثال للخلق الرفيع والتي اذهلت الناس من يومها ولحد الآن والى يوم الآخرة

وهو القائل: {ادبني ربي فأحسن تأديبي}



وقد وردت عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أحاديث متعددة تحت على الالتزام بالخلق الحسن: {خياركم احسنكم اخلاقاً} (12) و {كرم المؤمن دينه ومرؤته عقله وحسبه خلقه} وفي سيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اسوة حسنة وهي مثال للخلق الرفيع والتي اذهلت الناس من يومها ولحد الآن والى يوم الآخرة وهو القائل: { ادبني ربي فأحسن تأديبي} (13)

ولم يأل جهداً آل بيت النبوة (عليهم السلام) واصحابه المنتجين في اتباعه لخلقه في حياتهم ليكونوا المثل الأعلى في الالتزام بما جاء به القرآن الكريم وسنة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو ما لا تسعه المجلدات الضخام.

### فلسفة الاخلاق في عصر الحضارة العربية الاسلامية:

عندما انبثقت الحضارة العربية الإسلامية كان للفلاسفة المسلمين دوراً رائعاً في فلسفة الاخلاق ومنهم:

1. الكندي (246 هجري) (14): وقد سمي فيلسوف العرب وقد سعى في كتاباته الى الجمع بين الفلسفة الأخرى للاقلاق والفكر الاسلامي.

الفارابي (339 هجري) (15): وهو المعلم الثاني تعلم وعاش في بغداد ثم انتقل الى دمشق ومات ودفن فيها ، ومن بديع ما كتب أن وضع شروطاً لمن يريد أن يتعلم ويعمل بالحكمة (والطب هو من الحكمة):

1. إن يكون شاباً صحيح المزاج
  2. قد تعلم القرآن واللغة وعلوم الشرع
  3. إن يكون غير مغل بأدب من آداب الشريعة والسنة
  4. إلا يتخذ علمه آلة لكسب الأموال.
- ومن كان بخلاف ذلك فهو حكيم زور.

(12) صحيح مسلم /ج4/ كتاب الفضائل / ص191 / دار احياء التراث العربي 1951

(13) نفس المصدر السابق

(14) البهي محمد/ الجانب الالهي من التفكير الاسلامي / ط3- 1962/ ص293

(15) د. حسين علي محفوظ/ الفارابي للمراجع العربية/ دار الحرية للطباعة- 1957/ ص261



ابن سينا (ت 452 هجري)<sup>(16)</sup>: وهو الشيخ الرئيسي ابو علي بن سينا وكان طبيباً ، فيلسوفاً ، رياضياً ، فلكياً وشاعراً ، ولقد أهتم بدراسة الاخلاق للفرد والجماعة وله كتب منها:

- رسالة في الاخلاق

- رسالة العهد

الامام الغزالي (450 هجري)<sup>(17)</sup>: ابو حامد محمد بن محمد الغزالي ، وهو أحد الفلاسفة الذين بحثوا في الفلسفة الاخلاقية وكتب فيها.

ويعتقد أنه من الممكن معالجة الخلق كما هو معالجة المرض وكل نفس يتم علاجها بطريقة خاصة.

ابن رشد (520-595 هجري): الطبيب الفقيه الفيلسوف له كتاب "الاخلاق" وهو كتاب ارسطو الا أنه علق عليه ويؤمن بالفضيلة بين رذيلتين وقوى النفس الثلاث.

ابن ماجه وابن طفيل وهم من الفلاسفة الذين اهتموا بالأخلاق وربطوا العقل بالأخلاق<sup>(18)</sup> (وعلم الاخلاق هو تكيف النفس وردّها الى ما رسمته الشريعة، والخلق هو هيئة في النفس راسخة تصدر الأفعال لا ارادياً وتتسم بما فيها من قبح أو حسن).

### الاخلاقيات الطبية عبر التاريخ:

وفي استعراض للأسس الاخلاقية بين الطبيب والمريض فإن حجر الاساس في تكوين العلاقة الجيدة بين الطبيب ومريضه ينحصر في اكتساب ثقة ذلك المريض له وهذا الشيء لا يأتي بسهولة ويمكن أن يفقد بسرعة فائقة ، والشفاء لا يرد دائماً في دساتير الطب من اقدم الأزمنة ولحد الآن لأن الشفاء لا يمكن أن يتم الا في القلة من الحالات المرضية وخاصة في الامراض الجرثومية وبعض المشاكل الجراحية التي تحل بالعمليات الجراحية وليس التي لا يوجد علاج نوعي لمسبباتها.

وعلم الاخلاق الطبية يهيئ الطبيب للتعرف على المواقف المختلفة التي يواجهها في عمله وكيفية التعامل معها بتعقل ومبدئه، وكذلك مع اساتذته وزملائه ومساعديه والمجتمع على العموم، والمنهج الاخلاقي في الطب يحقق اعتبارات عبر التعامل الاخلاقي مستنده الى أهداف سامية:

<sup>(16)</sup> تيسير شيخ الأرض/ المدخل الى فلسفة ابن سينا/ دار الانوار /ط1- 1967/ ص344

<sup>(17)</sup> محمد الغزالي/ خلق المسلم/ دار الكاب الحديثة/ 1962

<sup>(18)</sup> ابو بكر بكري/ تاريخ النظريات الاخلاقية/ ط4



1. الرحمة والشعور بإحساس الآخرين على اساس انساني أولاً وكمرضى ثانياً.
2. كفاءة الطبيب بالدراسة والتدريب واستمرارية التعلم.
3. الاستقلالية الذاتية في احترام رأي المريض و ارادته وتقبله للعلاج بعد الإيضاح ثم أخذ موافقته.

### الاهداف التي يبتغيها الطبيب في عمله:

1. الحفاظ على الحياة
  2. شفاء المريض والسعي للوصول الى تحسن حالته
  1. القضاء على الالم
  2. جلب الراحة والطمأنينة النفسية للمريض
  3. وقاية المجتمع
  4. تعليم وتنقيف المريض
- لقد كانت العلاقة بين الطبيب والمريض في السابق اشد رسوخاً، علاقات شخصية وروابط اجتماعية وقد تكون روحية، وتكاد الثقة تكون مطلقه بينها، والسبب ربما ندرة الأطباء وكثرة المرضى والآفات والحروب مما ادى الى رفع منزلة الطب والأطباء.
- يضاف الى شعور الأطباء الكامل بتحمل مسؤولية مرضاهم واعطائهم وقتاً كافياً واهتماماً زائداً واصغاءً جدياً وخبرة عملية كبيرة.
- وأيضاً قلة المعلومات الطبية وعدم توفر الأجهزة المساعدة لتشخيص الأمراض جعل التأثير الشخصي والعلاقة القوية بينهما هي اساس العلاج الناجح.

بقيت مهنة الطب محتفظة بتقاليدها العريقة والتمسك أو على الأقل الاعتراف بما يسمى بالخلق المهني الى حد كبير فلا يزال الطيب يلقي اهتماماً خاصاً في اغلب المؤسسات الصحية وضمن اكثر المجتمعات في العالم وهذه نعمة كبيرة يمتاز بها الطبيب عن غيره وعليه أن يبذل كل جهد لاستمرارها.

"ملاحظة: للأسف أن انهيار النظم الأخلاقية التي تسود العالم والجهل والسعي نحو تحقيق الفوائد والارباح الذي احاط لدى معظم الشعوب وبمهنة الطب أساء لهذا الاحترام للمهنة وعرضها للكثير من الإساءات "



إن الاخلاقية الطبية هي الاساس في مهنة الطب ومركز هذه الاخلاقية يمكن في تعامل الطبيب مع مرضاه مع أساتذته وزملائه ومجتمعه الذي يعيش فيه الى جانب علمه ومعرفته وتطويرها ولا شك في أن السبب الذي يكمن خلف الاهتمام بأداب المهنة هو طبيعة مسؤولية الطبيب والتي تتعلق بصحة المريض ومرضه وحياته وموته والى جانب علاقته بصحة المجتمع كله وتعكس هذه الأهمية الكتابات الكثيرة التي كتبها الرواد الاقدمون منذ الاف السنين وعبر العصور الى يومنا هذا من آداب مهنة الطبيب وأخلاقه وصفاته.

### الحضارة اليونانية وأثرها في الاخلاقيات الطبية: (19)

لقد تركت الحضارة اليونانية أثرها الكبير على أسس ومبادئ الاخلاقيات الطبية في مجمل الحضارات التي عاصرتها أو جاءت بعدها ولقد تفاعل الفلاسفة المسلمون معها كثيراً.

وفي تاريخ الاخلاقيات في هذه الحضارة يبرز اسم الطبيب الأوسع سمعه في العالم ابقراط (٤٦٠ – 370 ق.م) وقد لقب بـ (ابو الطب) ووضع ابقراط قسماً لا يزال يعمل به مع أن شعوب العالم قد اضافت له الا أنه لا يزال يسمى باسمه ويردد في نهاية دراسة الطب من قبل الأطباء الجدد.

فمن شروط تعلم المهنة وممارستها أن يقسم الطالب والممارس بقسم ابقراط (والذي اعاد تنظيمه الأطباء العرب والمسلمون): (20)

(( إني أقسم بالله رب الحياة والموت واهب الصحة وخالق الشفاء وكل علاج ، وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعاً ، وأشهدهم جميعاً على أنني أفي بهذه اليمين وهذا الشرط ، وأرى أن المعلم لي لهذه الصناعة بمنزلة آبائي وأواسيه في معاشي ، وإذا احتاج الى مال واسيته وواصلته من مالي ، وأما الجنس المتناسل منه فأرى أنه مساوٍ لأخوتي وأعلمهم هذه الصناعة إن احتاجوا لتعلمها لا ابغي أجرة ولا شرط وأشرك أولاد المعلم لي والتلاميذ الذين كتب عليهم الشرط وحلفوا بالناموس الطبي والوصايا والعلوم وسائر ما في الصناعة وأما غير هؤلاء لا افعل بهم ذلك.

وأقصد بجميع التدابير بقدر طاقتي منفعة المرضى وأما الأشياء التي يضر بهم وتدني منهم بالجور عليهم فأمنع منها بحسب رأيي.

(19) موسى محمد يوسف/ تاريخ الاخلاق/ دار الكتاب العربي/ ط3/ 1953 مصر/ ص172

(20) د. راجي عباس النكريتي/ السلوك المهني للأطباء/ دار التربية/ بغداد- العراق/ ص53



ولا أعطي إذا طلب مني دواء قتالاً، ولا أشير بمثل هذه المشورة، وكذلك لا أرى أن أدني من النسوة فزوجة تسقط الجنين، وأحفظ نفسي في تدبيري وصناعاتي على الزكاة والطهارة ولا أشق أيضاً عمّن في مثانته حجارة لكن أترك ذلك إلى من كانت حرفته في هذا العمل.

وكل المنازل التي أدخلها إنما أدخلها لمنفعة المرضى وأنا بحال خارجة عن كل ظلم وجور وفساد إرادي مقصود إليه في سائر الأشياء وفي الجماع للنساء والرجال، الأحرار منهم والعبيد، وأما الأشياء التي أعانيها في أوقات علاج المرضى أو أسمعها في غير أوقات علاجهم في تصرف الناس في الأشياء التي لا يُنطق بها خارجاً، فأمسك نفسك عنها وأرى أن أمثالها لا ينطق))

" فمن أكمل هذا اليمين ولم يفسد منها شيئاً فأن له أن يكمل تدبيره وصناعته على أفضل الأحوال وأجملها، وأن يحمده جميع الناس فيما يأتي من الزمان دائماً ومن تجاوز ذلك كان يضره "

ويضع ابقراط في وصاياه نقاط عده يجب الأخذ بها:<sup>(21)</sup>

1. يجب على من يريد الحصول على المعرفة التامة في العلوم الطبية أن يكون لديه الاستعداد التام لذلك وأن يلتحق بمعهد الطيب وأن يتعلم منذ حداثة وأن يكون له الميل للعمل وكذلك وقت كافي يضعه للدراسة.
2. ينبغي ان يكون المتعلم للطب في جنسه حراً وفي طبعه جيداً معتدلاً القامة - متناسب الاعضاء - حسن الحديث صحيح الرأي عند المشورة.
3. إن يكون حسن المظهر والهندام، ويكون حلق رأسه معتدلاً مستويّاً "لا يحلقه ولا يدعه كالجمّة" ويقص أطراف يديه ولا يتركها تعلو على أطراف أصابعه.
4. إن تكون ثيابه نقيه لدينه ولا يكون مستعجلاً لأن ذلك دليل على الطيش ولا متباطئاً لأن ذلك دليلاً على فتور النفس.
5. وهذا الشكل والزي والمظهر الخارجي والترتيب عندي أفضل من غيره.
6. ان يحافظ على سمعته وكرامته ويحسن التصرف كالرجل الشريف.
7. عفيفاً شجاعاً غير محب للفوضى، مالاً لنفسه عند الغضب، ولا يكون تاركاً في الغاية ولا يكون بليداً.

<sup>(21)</sup> د. كمال السامرائي/ مختصر تاريخ الطب العربي/ دار الشؤون الثقافية والنشر/ بغداد/ العراق/ 1985/ ج1/ ص104



8. إن يكون صبوراً رقيق الجانب هادئاً غير متهور في عمله ساكن غير حاد المزاج أو عبوس ولا يجب أن يكون كثير المرح وعدم الثثرة.

9. ينبغي ان يكون محتملاً للشتيمة، لأن قوما من المبتسمين.

10. إذا دعي الى مريض فليعقد متبرعاً ويختبر منه حالة سكونه وتأن لا بقلق واضطراب.

11. ان يكون مشاركاً للعليل مشفقاً عليه، حافظاً لا اسراره لان كثير من المرض يخبرون الطبيب بامراضهم ولا يحبون أن يقف عليها غيرهم.

12. يجب على الطبيب ان يتحلى بخصال الفيلسوف الجيدة، ومنها انكار الذات والحماس والتواضع والمظهر المحترم والجدية والحكم الهادئ وهدوء الفكر والحزم والحياة الطاهرة وتجنب الاثيياء الضارة.

13. الايمان والتعبد لله.

وجاليتوس ( ٢٠٠ ق.م)<sup>(22)</sup>: وهو من اشهر وأهم أطباء العصر اليوناني وله الأثر الكبير على العلوم الطبية في الحضارة العربية الاسلامية، ونظرية جاليتوس في المؤثرات

على صحة الانسان وخلقته تقوم على اساس الامزجه (فقد تبعه الرازي وغيره) الدم، الصفراء، السوداء، البلغم.

وله كتابان في اخلاقيات الطب:

1. محنة الطبيب

2. كيف تعرف أن الطبيب فلان فاضلاً

ويؤكد على أهمية الاخلاق في العمل الطبي وحث المريض على التأكد من اخلاق الطبيب والممامه بصنعتة قبل استشارته.

### الأخلاقيات الطبية في الحضارات العربية الاسلامية:

إن خلق الطبيب وسلوكه في مهنته تابع لأخلاقيات الاسلام وهي من الفرائض وعليه الالتزام بها في عمله مع المريض وزملائه ومساعديه مجتمعه.

<sup>(22)</sup> ابن ابي اصيبعة/ عيون الانباء في طبقات الاطباء/ تحقيق: د. نزار رضا/ منشورات دار مكتبة الحياة/ بيروت/ ص127



فقد اعتمدت الاخلاقيات الطبية الاسلامية على مبدأ وضع الطب وسيلة لخدمة الانسان يبغي من خلالها رضا الله (سبحانه وتعالى).

والسؤال كيف يؤثر الدين الاسلامي في الطبيب:

1. كي ينظر الطبيب الى الحياة نظرة شموليه.
  2. لكي يهتدي بهدي الكتاب وسنة رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم).
  3. لكي يربط عمله وعلمه بخير الانسان.
  4. لكي يهذب نفسه ويربيها على مبادئ الفضيلة والشرف.
  5. لكي يجد في نفسه الدافع للتعلم والمثابرة والالتقان.
  6. لكي يتقي الله في عمله.
- وقد ورد عن الامام الشاطبي:

إن الشريعة الاسلامية وضعت للمحافظة على الضروريات في (الدين، النفس، النسل) (العرض)، (المال، العقل) ثلاثة من هذه الضروريات تتصل بصحة الانسان وهي (النفس، النسل، العقل) وهي من عمل الطبيب.

وما نقل عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام): " العلم علمان، علم الاديان وعلم الابدان" ومن الفقه الاسلامي لم يخرج الفقيه عن الإطار العام للاخلاقيات الطبية وإنما امرها بالشريعة الاسلامية. وعن الإمام الصادق (عليه السلام)<sup>(23)</sup>: " لا يستغني أهل كل بلد عن ثلاث يفزع اليهم من امر دنياهم ، فقيه عالم ورع ، أمير خير مطاع ، طبيب بصير ثقة"

ما ورد عن الاخلاقيات الطبية في عصر الحضارة العربية الاسلامية:

أن مبادئ الاسلام العليا كما أمر بها سبحانه وتعالى وكما وردت في أحاديث وسنة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) همه وكما وردت عن آل بيت والأصحاب المنتجبين (عليهم السلام) والتي ترفع القيم الاخلاقية الى مستوى عال من الانسانية بالرغبة في عمل الخير والاحسان في سبيل الله قد تركت آثارها الكبيرة على اخلاقيات مهنة الطب.

<sup>23</sup>() جعفر مرتضى العاملي/ الاداب الطبية في الاسلام/ جامعة المدرسين (قم) / ص 87



ولقد أفرد الأطباء العرب والمسلمون<sup>(24)</sup> في هذا العصر العديد من الكتب والرسائل فيما يخص اخلاق الطبيب ، الا أن أبرزها واوسعها وأكثرها تركيزاً في صلب الموضوع هو كتاب "ادب الطبيب"<sup>(25)</sup> ، لإسحاق بن علي الرهاوي وهو طبيب مسيحي (من القرن التاسع) وسمي بالإنجاز الملكي للأعمال المبكرة المتعلقة بأدب الطبيب.

ولقد ذكر في مقدمة كتابه: (تكلفت جمع ما قدرت عليه من الآداب التي ينبغي للطبيب أن يؤدي نفسه بها، والاخلاق المحمودة التي ينبغي أن يقوم بها طبعه محتسباً للثواب في ذلك واثقاً بمعونة الله وتأييده).

ومن فلسفة الرهاوي أن رعاية الطبيب لجسمه وحفظ صحته هي من الظواهر التي تدفع مرضاه الى العمل بوصاياه ويفرد الرهاوي بأن يورد فيه جدولاً لأعمال الطبيب اليومية والتي كان يمارسها وتتضمن- ابتداء اليوم بالصلاة إلى الله تعالى، وفي هذا الكتاب ابواب عدة منها:

1. امانة الطبيب واعتقاده
2. ما ينبغي للطبيب أن يحذره
3. وما يجب أن يوصي به خدم المريض
4. ويوصي بأدب عواد المريض
5. وأن الطبيب يجب أن يكون له التشريف حسب مرتبته من صناعة الطب من الناس كافة ولكن تشريفه من قبل الملوك والأفاضل يجب ان يكون أكثر.
6. وفي شرف صناعة الطب
7. وفي محنة الطبيب

وفيما ينبغي للطبيب أن يذخره ويعده من وقت صحته لوقت مرضه

<sup>(24)</sup> علي بن رضوان المصري/ النافع في كيفية تعلم صناعة الطب/ تحقيق: د. كمال السامرائي / جامعة بغداد/ 1986  
<sup>(25)</sup> اسحق بن علي الرهاوي/ ادب الطبيب/ تحقيق: د. كمال السامرائي، د. سلمان داود / سلسلة خزائن التراث / بغداد/ 1992/ص107،110،111،113،197



وينصح ان يلتزم الطبيب رزقه من الاغنياء دون الفقراء مع عدم التفريق بالعناية وألا يشح بصناعته  
أن شح ذو اليسار بمالهم

8. وألا يبذر ماله ولا لم يبخل وأن يذخر ما يكفيه عند الكبر ومن زمان شبابه الى زمان شيخوخته

9. وهو يرى أن الطب أن أصلح صحة الناس فهو يفيدهم في الاقرار بتوحيد الله وعبادته وهو ما  
يهدف اليه الطبيب في عمله

وكذلك في مارد عن بعض الأطباء العرب والمسلمين فيما يخص اخلاق المهنة وصفات الطبيب،  
فقد اشترط الأطباء المسلمون شروطاً جسمانية وعقلية واخلاقية لطالب الطب وممارستها.

فقد جاء في كتاب ابن ابي اصيبعة المؤرخ الطبي الشهير أن الطبيب ابن رضوان المصري  
(ت460 هجري)<sup>(26)</sup> اشترط على الطبيب:

1. أن يكون تام الخلق وجميع الاعضاء، حسن الذكاء جيد الرؤية، عاقلاً ذكوراً وخير الطّباع
  2. أن يكون حسن الملبس، طيب الرائحة ونظيف البدن ونظيف الثياب
  3. إن يكون كتوماً لأسرار المرضى لا يبوح بشي من امراضهم
  4. إن تكون رغبته في شفاء المرضى أكثر من رغبته فيما يتلمسه من الاجر ورغبته في علاج  
الفقراء أكثر من رغبته في علاج الأغنياء.
  5. إن يكون حريصاً على التعليم، ونفع الناس.
  6. إن يكون سليم القلب، عفيف النظر، صادق اللهجة، لا يخطر بباله شيء من امور النساء  
والاحوال التي يشاهدها في منازل الاغنياء ما فضلاً عن أن يتعرض الى شيء منها.
  7. إن يكون مأموناً ثقة على الارواح والاحوال ولا يصف دواء يسقط الأجنة
  8. يعالج عدوه بنية صادقه كما يعالج حبيبه وكذلك فأن من شروط تعلم المهنة وممارستها أن  
يقسم الطالب والممارس بقسم ابقراط الذي عدله الأطباء المسلمون.
- وكذلك فقد اشترطت المدرسة المستنصرية لطالب الطب تمام الخلقة والذكاء وحسن السيرة  
وانفردت بأن يكون مسلماً.<sup>(27)</sup>

<sup>(26)</sup> علي بن رضوان المصري/ النافع في كيفية صناعة الطب/ د. كمال السامرائي/ مطبعة جامعة بغداد 1986/ ص41  
<sup>(27)</sup> د. رضي جواد باقر/ الطب وتعليمه في عصر الحضارة العربية الاسلامية/ مجلة الحكمة/ دار الحكمة/ ال عدد38/ بغداد 2004



واخلاقيات التعليم تلزم الطالب الادب اتجاه استاذة في مجلسه في الدرس وفي التصرف معه خارج ذلك وحتى بعد أن يصبح طبيباً ممارساً للمهنة وتشمل هذه الاخلاقيات معلم الطب أيضاً والذي اكثر الاحيان من افضل الاطباء علماً ، ولكون تعليم الطب مما يثاب المرء عليه فقد كان اكثرهم يعلمون الطب احتساباً بل أن البعض منهم اوقف بيته ليكون مدرسة للطب بعد وفاته كالطبيب الشامي عبد الرحيم الدخوار ( ٤٦٤ هجري ) .<sup>(28)</sup>

وهنا لنا وقفه قصيره ما دمنا نتكلم في تعليم الطب فإن مسألة شائكة كانت تواجه طلاب الطب الأ وهي درس التشريح.

ففي عصر الحضارة العربية الإسلامية وفي وقت كانت التيارات الفكرية الإسلامية قد وصلت مرحلة الصراعات لم يشأ الأطباء المسلمون ممارسة التشريح وهم المتلهفون للعلم وكانت هذه النفاتة ذكية منهم ربما لأبعاد هذه المسألة لفترة من الزمن حتى لا تكون مادة للتحريم وتكون عقبه لمن يأتي بعدهم.

فقد اكتفى ادهم بتشريح القرده كما فعل ابن ماسويه (ت ٢٤٣ هجري)<sup>(29)</sup> والبعض الآخر اكتفى بملاحظته ما يظهر من خلال الجروح.

وقد درس عبد اللطيف البغدادي (625 هجري) العظام مما كشفت عنه مقبرة قديمة في احدى التلول قرب القاهرة.

الا أنه في اشارة لا تخلو من حكمة بين ابن رشد الحفيد (595 هجري) حين قال: (من اشتغل بعلم التشريح أزداد أيماناً بالله)، وهو رأي يبرر فيه الجانب الاخلاقي العميق لممارسة التشريح وقد يكون قد مارسه خفية؟

### **العلاقة بين الطبيب والمريض:<sup>(30)</sup>**

فيما يخص العلاقة بين الطبيب والمريض سنورد بعض ما قاله الأطباء والفلاسفة في ذلك العصر بهذا الخصوص:

1. يعقوب ابن اسحق الكندي:

<sup>(28)</sup> د. أحمد عيسى/ تاريخ البيمارسانات في الاسلام/ دار الرائد العربي/ بيروت- لبنان/ ص39

<sup>(29)</sup> ابن ابي اصبيحة/ عيون الانباء في طبقات الاطباء/ مصدر سبق ذكره / ص250

<sup>(30)</sup> ابن ابي اصبيحة ص288، 420



ليتق الله تعالى المتطبب ولا يخاطر فليس عن الانفس عوض، وكما يجب أن يقال إنه كان سبب عافية المريض وبرئه، كذلك يحذر أن يقال إنه كان سبب تلفه وموته. وهي دعوة وتأكيد على التعامل بحيطة وعلميه وعدم التهور والاهمال في ممارسته حارته الطب

ابو بكر الرازي الطبيب (ت 313 هجري):<sup>(31)</sup>

لقد كان الخطاب الاخلاقي لدى الرازي تطبيقياً وليس نظرياً

"يصعب في الطب كثيراً الوصول إلى الحقيقة وفن الطب كما نجده في الكتب أقل شأناً من الخبرة العملية التي يحصل عليها طبيب مفكر وماهر"

وبهذا فهو يدعو الطبيب أن يمارس الطب ليكتسب الخبرة وهو أمر مهم في الطب الا وهو الاستمرار بالتعلم والتدريب، وأيضاً للرازي مقوله في أدب الطبيب الذي يعالج المرض اصحاب الامراض المستعصية، فهو يحث الطبيب ان يواسي ويشجع المريض حتى ولو كان مشرفاً على الموت لأن قوة الانسان مستمدة من روحه المعنوية

" ينبغي للطبيب أن يوهم المريض أبداً بالصحة ويرجيه بها وأن كان غير واثق بذلك فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس".

وهو يطابق لما قاله ابن القيم في كتابه الطب النبوي: " وقد علم أن الارواح متى قويت ، قويت النفس والطبيعة وتعاوناً على رفع الداء وقهره" ، وهذا مستمد من الحديث النبوي الشريف: { إِذَا دَخَلْتُمْ عَلَى الْمَرِيضِ فَتَقَسُّوا لَهُ فِي أَجَلِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَزِدُّ شَيْئاً، وَهُوَ يُطَيَّبُ نَفْسَ الْمَرِيضِ }<sup>(32)</sup>. (ومقولات أخرى: إذا ما عالجت مريضاً تبدأ بتقوية حيويته وحالته العقلية لانك ان فعلت ذلك سهل عليك ذلك)، (إذا كان الطبيب عالماً والمريض مطيعاً فما اقل ما لبثت العلة)

وهذه المقولات تظهر أهمية الحالة النفسية في علاج الامراض حتى العضوية منها، والثقة وطاعة المريض مهمة في العلاج وهي أساس العلاقة بين المريض والطبيب.

### العلاقة بين الاطباء:

<sup>(31)</sup> ابي بكر محمد بن زكريا الرازي/ المنصوري في الطب/ تحقيق: د. حازم البكري المنظمة العربية للتربية والثقافة/ 1987/ الكويت ص253

<sup>(32)</sup> (الاداب الطبية في الاسلام/ مصدر سبق ذكره/ ص192)



وهذه العلاقة أيضاً تم الإشارة إليها من قبل أطباء ذلك العصر وأكدوا على أهميتها: وقد ورد عن اسحق بن سليمان (ت ٩٠٥ هجري): "إذا ما حل بزميل لك ضرر فلا تذكره بسوء فأن لكل امرئ ساعته، وليكن تفاؤلك وحسن خلقك راشدك الوحيد للرفعة والمجد ولا تحاول أن ترتفع بإذلال الغير".

### - وفي الاجور:

فقد كان للأخلاق دورها في استيفاء الأجور مثلاً أن الطبيب القيرواني ابن الجزار (ت ٣٩٦ هجري) فقد كان لا يتقرب الى الامراء والاغنياء ويعالج الفقراء ويعطيهم الدواء مجاناً بل أنه كان يترفع عن أن يأخذ اجوره بيده ويترك الأمر لغلامه.

ومعالجة الفقراء مجاناً كانت من أفضل ما جاءت به الاخلاقيات الاسلامية وهو ما مارسه أكثر الأطباء وقد تجلى هذا الأمر في المستشفيات والتي كانت العناية فيها أقرب للخيال ويفوق أفضل ما موجود حالياً ومع هذا كانت مجاناً للأغنياء والفقراء.

### - كتمان السر: (33)

وهذا امر لا يفرض به اخلاقياً، وفي حادثة مشهورة عندما رفض ابن التلميذ وهو طبيب واديب مسيحي (466-560 هجري) البوح باي سر لأمير السلاجقة محمد خوارزمشاه في حصاره لبغداد وهذا الامر رفع قدره عند هذا الامير.

وكان حنين بن اسحق العبادي (ت 260 هجري): (34) مثلاً عالياً يحتذى به لرفضه أن يحضر السم للخليفة المتوكل لقتل اعداءه وقد سجن وهدد بالقتل لرفضه.

### - الأمانة العلمية: (35)

فليس كابن البيطار (ت 646 هجري) عالماً حريصاً على ان يرد كل رأي لصاحبه ويؤن ملاحظاته وتجاربه بدقة وأمانة فائقة.

وما تركه الاطباء في ذلك العصر من حكم وامثال ومواقف أخلاقية الكثير جداً مما لا تسعه الكتب والمجلدات.

(33) الشيخ حسين عادل محمد علي / ابن الجزار القيرواني/ مطبعة التعليم العالي في الموصل / ص11

(34) الانباء في طبقات الاطباء/ مصدر سبق ذكره/ ص261

(35) د. راجي عباس التكريتي/ ابن البيطار وأثره في الطب والصيدلة/ مركز التراث العلمي العربي/ جامعة بغداد



وقد يسأل سائل هل كان هناك متابعة للالتزام بالأخلاق الطبية من قبل ممن يمارسه ووجود ذوي النفوس الضعيفة وهو امر متوقع في كل عصر والذين يكون التزامهم بالأخلاق الحميدة ضعيف. والجواب: نعم

فقد كان هناك المحتسب<sup>(36)</sup>: والحسبة في بدايتها أمر بالمعروف إذا ظهر تركه والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله عملاً بقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران/ آية (104)]

وعن حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): {أَيُّمَا طَبِيبٍ تَطَبَّبَ عَلَى قَوْمٍ لَا يُعْرِفُ لَهُ تَطَبُّبٌ قَبْلَ ذَلِكَ فَأَعْنَتْ فَهِيَ ضَامِنٌ}.<sup>(36)</sup>

وقد عمل به أول الأمر الخلفاء الراشدون أنفسهم ثم أوكلت بعدها للثقات من الناس ووظيفة المحتسب مراقبة الأطباء كغيرهم من اصحاب المهن والنظر في الشكاوى التي تقدم ضرهم ومعاينة من تثبت إدانته على مخالفة الشرع والعرف.

اما رئاسة الأطباء فهي مرتبة علمية أيضاً لمراقبة الأطباء والزامهم بقواعد المهنة وآدابها وقد يمتحن رئيس الأطباء زملائه عند اقتضاء الحاجة.

ويتعهد رئيس الأطباء امام المحتسب ألا يتساهل في شؤون الأطباء والزامهم بقواعد المهنة وآدابها وأن يأخذ عليهم عهد ابقراط.

### الخاتمة

من المهم أن نذكر أنه ما بعد العصور الوسطى وعزل الكنيسة عن التدخل في الشؤون العامة وبعد أن تدهورت الحضارة العربية الاسلامية كانت هناك صفحة جديدة والتي انطلقت في مسعى مادي بحث اضاءة القيم القديمة وما جاءت به من فلسفات أخلاقية لم تثبت أي منها نجاحها.

والفردية كانت هي الأساس في هذه الفلسفات وهي الطامة الكبرى للإنسانية والتي شجعت الانسان والدول للكسب وكان الطب من جملة ذلك في توجه المؤسسات العلمية في عملها.

ونحن الآن في مفترق طرق لخيارات متعددة ولكل أمة خياراتها وهي بالتأكيد حاصل تحصيل لمعتقداتها وثقافتها وللتراث الاسلامي جذور ممتدة في عقولنا وافكارنا وفعالنا، فالعودة لاستجلاء هذا

(36) د. حسين علي محفوظ/ دراسات في الحسبة والمحاسب عند العرب/ مركز التراث العربي / جامعة بغداد



التراث قد يكون باباً لفتح مدارس فكرية وتطبيقية تساعد في حل اشكالات الواقع الذي نعيشه وذلك من باب اكمال البحث العلمي باستيفاء كل المصادر وما اغنى وأجمل وأكمل ما تركه اجدادنا العظماء.

### المصادر والمراجع

#### القرآن الكريم

1. ابن أبي أصيبعة عيون الأنباء في طبقات الأطباء منشورات دار مكتبة الحياة بيروت.
2. أبو بكر ذكري، تاريخ النظريات الأخلاقية وتطبيقاتها العملية دار الفكر العربي ١٩٦٥.
3. اسحق بن علي الرهاوي ، كتاب أدب الطبيب سلسلة خزانة التراث بغداد ١٩٩٢.
4. البهي محمد، الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٩٦٠.
5. جعفر مرتضى العاملي، الآداب الطبية في الإسلام، منشورات جامعة المدرسين – قم، إيران ١٩٩٢.
6. الحاج قاسم د. محمود السلوك الطبي الإسلامي منشورات الجمعية الطبية الإسلامية موصل العراق ٢٠٠٤.
7. د. احمد عيسى، تاريخ البمارسانات في الإسلام دار الرائد العربي بيروت، لبنان.
8. د. حسين محفوظ علي الفارابي في المراجع العربية دار الحرية للطباعة ١٩٧٥.
9. د. حسين محفوظ علي دراسات في الحسبة والمحتسب عند العرب جامعة بغداد وزارة التعليم العالي.
10. د. راجي عباس التكريتي، السلوك المهني للأطباء، دار التربية، بغداد العراق.
11. د. راجي عباس التكريتي ابن البيطار وأثره في الطب والصيدلة الأمانة العلمية مركز أحياء التراث العلمي العربي جامعة بغداد ١٩٨٨.
12. د. رضي جواد باقر، الطب تعليمه ومدارسه في عصر الحضارة العربية الإسلامية، مجلة الحكمة، دار الحكمة، العدد ٣٨ في ١٩٨٩.
13. د. رضي جواد باقر، الاخلاق، الطب في عصر الحضارة الاسلامية، مجلة واسط، جامعة واسط ، مجلد 2 عدد 3.
14. د. زهير احمد السباعي، د. محمد علي البار، الطبيب أدبه وفقه، دار القلم، دمشق.
15. د. كمال السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي دائرة الشؤون الثقافية والنشر بغداد العراق 1985.
16. د. محمد علي البار، د. حسان شمي باشا، د. عدنان احمد البار، موسوعة اخلاقيات مهنة الطب، جامعة الملك عبد العزيز، جدة.
17. الرازي ابي بكر محمد بن زكريا المنصوري في الطب تحقيق د. حازم البكري المنظمة العربية للتربية والثقافة ١٩٨٧ الكويت.
18. رجب منصور علي، تأملات في فلسفة الأخلاق المكتبة الانجلومصرية ١٩٦١.



19. شيخ الأرض تيسير المدخل إلى فلسفة ابن سينا دار الأنواء بيروت ١٩٦٧.
20. الشيخ حسين عادل محمد علي ابن الجزار القيرواني مركز أحياء التراث العلمي العربي بغداد ١٩٨٨.
21. صحيح مسلم، كتاب الفضائل دار، أحياء التراث العربي ١٩٥٤.
22. علي بن رضوان المصري، النافع في كيفية تعليم صناعة الطب مطبعة جامعة بغداد ١٩٨٧.
23. محمد الغزالي، خلق المسلم دار الكتب الحديثة ١٩٦٢.
24. مصباح مازن صباح، يحيى نائل محمد، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات، دامعة الازهر، مجلد 20 العدد الثامن يوليو 2011
- د. زهير احمد السباعي، د. محمد علي البار، الطبيب أدبه وفقه، دار القلم، دمشق.
25. د. كمال السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي دائرة الشؤون الثقافية والنشر بغداد العراق 1985.
26. د. محمد علي البار، د. حسان شمي باشا، د. عدنان احمد البار، موسوعة اخلاقيات مهنة الطب، جامعة الملك عبد العزيز، جدة.
27. الرازي ابي بكر محمد بن زكريا المنصوري في الطب تحقيق د. حازم البكري المنظمة العربية للتربية والثقافة ١٩٨٧ الكويت.
28. رجب منصور علي، تأملات في فلسفة الأخلاق المكتبة الانجلومصرية ١٩٦١.
29. شيخ الأرض تيسير المدخل إلى فلسفة ابن سينا دار الأنواء بيروت ١٩٦٧.
30. الشيخ حسين عادل محمد علي ابن الجزار القيرواني مركز أحياء التراث العلمي العربي بغداد ١٩٨٨.
31. صحيح مسلم، كتاب الفضائل دار، أحياء التراث العربي ١٩٥٤.
32. علي بن رضوان المصري، النافع في كيفية تعليم صناعة الطب مطبعة جامعة بغداد ١٩٨٧.
33. محمد الغزالي، خلق المسلم دار الكتب الحديثة ١٩٦٢.
34. مصباح مازن صباح، يحيى نائل محمد، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات، دامعة الازهر، مجلد 20 العدد الثامن يوليو 2011

